

التحرير والتنوير

وتنكير (امرأة) وهو مفعول أول ل (وجدت) له حكم المبتدأ فهو كالابتداء بالنكرة إذ أريد بالنكرة التعجب من جنسها كقولهم : بقرة تكلمت لأن المراد حكاية أمر عجيب عندهم أن تكون امرأة ملكة على قوم . ولذلك لم يقل : وجدتهم تملكهم امرأة .

والإيتاء : الإعطاء وهو مشعر بأن المعطى مرغوب فيه وهو مستعمل في لازمه وهو النول . ومعنى (أوتيت من كل شيء) نالت من كل شيء حسن من شؤون الملك . فعموم كل شيء عموم عرفي من جهتين يفسره المقام كما فسر قول سليمان (وأوتينا من كل شيء) أي أوتيت من خصال الملوك ومن ذوائرهم وعددهم وجيوشهم وثراء مملكتهم وزخرفها ونحو ذلك من المحامد والمحاسن .

وبناء فعل (أوتيت) إلى المجهول إذ لا يتعلق الغرض بتعيين أسباب ما نالته بل المقصود ما نالته على أن الوسائل والأسباب شتى فمنه ما كان إرثا من الملوك الذي سلفوها ومنه ما كان كسبا من كسبها واقتنائها ومنه ما وهبها □ من عقل وحكمة وما منح بلادها من خصب ووفرة مياه . وقد كان اليونان يلقبون مملكة اليمن بالعربية السعيدة أخذاً من معنى اليمن في العربية وقال تعالى (لقد كان لسبأ في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) . وأما راحة العقول ففي الحديث أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة اطفيمان يمان والحكمة يمانية فليس المراد خصوص ما آتاها □ في أصل خلقها وخلقة أمتها وبلادها ولذا فلم يتعين الفاعل عرفا . وكل من عند □ .

وخص من نفائس الأشياء عرشها إذ كان عرشا بديعا ولم يكن لسليمان عرش مثله . وقد جاء في الإصحاح العاشر من سفر الملوك الأول ما يقتضي أن سليمان صنع كرسيه البديع بعد أن زارته ملكة سبأ . وسنشير إليه عند قوله تعالى (أيكم يأتيني بعرشها) .

والعظيم : مستعمل في عظمة القدر والنفاسة في ضخامة الهيكل والذات . وأعقب التنويه بشأنها بالخط من حال اعتقادهم إذ هم يسجدون أي يعبدون الشمس . ولأجل الاهتمام بهذا الخبر أعيد فعل وجدتها إنكارا لكونهم يسجدون للشمس . فذلك من انحطاط العقلية الاعتقادية فكان انحطاطهم في الجانب الغيبي من التفكير وهو ما يظهر فيه تفاوت عوض العقول على الحقائق لأنه جانب متحيز لعمل الفكر لا يستعان فيه بالأدلة المحسوسة فلا جرم أن تضل فيه عقول كثير من أهل العقول الصحيحة في الشؤون الخاضعة للحواس . قال تعالى في المشركين (يعلمون طاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون . أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق □ السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق) وكان عرب اليمن أيامئذ من عبدة الشمس ثم دخلت

فيهم الديانة اليهودية في زمن تبع أسعد من ملوك حمير ولكونهم عبدة شمس كانوا يسمون عبد شمس كما تقدم في اسم سبأ .

وقد جمع هذا القول الذي ألقى إلى سليمان أصول الجغرافية السياسية من المكان والأديان وصبغة الدولة وثروتها ووقع الاهتمام بأخبار مملكة سبأ لأن ذلك أهم لملك سليمان إذ كانت مجاورة لمملكته يفصل بينهما البحر الأحمر فأمر هذه المملكة أجدى بعمله .
وقرأ الجمهور (من سبأ) بالصرف . وقرأه أبو عمرو عمرو والبيز عن ابن كثير بفتحة غير مصروف على تأويل البلاد أو القبيلة . وقرأه قنبل عن ابن كثير بسكون الهمزة على اعتبار الوقف إجراء للوصول مجرى الوقف .

(وزين لهم الشيطان أعماله فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون [24] ألا يسجدوا) الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون [25] لا إله إلا هو رب العرش العظيم [26]) .

يجوز أن يكون هذا من جملة الكلام الذي ألقى على لسان الهدد فالواو للعطف . والأظهر أنه كلام آخر من القرآن ذيل به الكلام الملقى إلى سليمان فالواو للاعتراض بين الكلام الملقى لسليمان وبين جواب سليمان والمقصود التعريض بالمشركين .

وقوله (ألا يسجدوا) قرأه الجمهور بتشديد اللام على أنه مركب في الخط من (أن) و (لا) النافية كتبتا كلمة واحدة اعتباراً بحالة النطق بها على كل المعاني المرادة منها .
و (يسجدوا) فعل مضارع منصوب . ويقدر لام جر يتعلق ب (صدّهم عن السبيل) أي صدّهم لأجل أن لا يسجدوا) أي فسجدوا للشمس